

## الموعظة الحادية عشرة الطمأنينة الاجتماعية

### هدف الموعظة

إيضاح مفهوم الطمأنينة الاجتماعية إسلامياً بمختلف أبعادها.

### محاور الموعظة

1. مفهوم الطمأنينة الاجتماعية
2. الطمأنينة الاجتماعية في الإسلام

### تصدير الموعظة

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 126.

## تمهيد

في ظلّ ما نشهده من بعض الاضطرابات الاجتماعية الحادّة، والتي تصل في كثيرٍ من الأحيان إلى مراحل متقدّمة من الاعتداء، كمباشرة القتل، وهتك الأعراض، واستخدام العنف، وشهر السلاح... تمسُّ الحاجة إلى تسليط الضوء على المناشئ الأصليّة لمثل هذه الحالات المخيفة، والتي تعمّ قائمة طويلة من العناوين، يقع على رأسها غياب الطمأنينة الاجتماعية.

فما هو مفهوم الطمأنينة الاجتماعية؟ وما هي الأمور التي تساهم في غيابه وحضوره؟ وما الذي يقدّمه الإسلام في هذا المجال؟

## مفهوم الطمأنينة الاجتماعية

يمكن تعريف الطمأنينة الاجتماعية بأنّها حالة الأمن والاستقرار التي يشعر بها أفراد المجتمع؛ نتيجة مساهمة مؤسسات التنمية الاجتماعية في تفعيل جميع الاستراتيجيات والإمكانيات والأساليب والممارسات التي تحقّق للفرد الشعور بالأمن وعدم الخوف على حاضره ومستقبله، وعلى نفسه ودينه وهويّته وماله وعرضه، وكلّ ما يحقّق له الاعتراف بوجوده وحقوقه، ويحفظ مكانته الاجتماعية وكرامته الإنسانية، ويتيح له المشاركة الاجتماعية الإيجابية، فيشعر كلُّ فردٍ، على أثر ذلك، بالرضا تجاه الحالة الاجتماعية، وتسود حالة من الانسجام والوئام والهدوء والتكافل الاجتماعيّ، وتنطلق عجلة التنمية والازدهار والإنتاج والإبداع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَعِنْدَهُ ثَلَاثٌ، فَقَدْ نَمَتَ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ فِي الدُّنْيَا: مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سَرِيرِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَإِنْ

كَانَتْ عِنْدَهُ الرَّابِعَةُ، فَقَدْ تَمَّتْ عَلَيْهِ التَّعَمُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ»<sup>1</sup>.

## الطمأنينة الاجتماعية في الإسلام

إنَّ الإسلامَ بشموليته لكلِّ جوانب الحياة الإنسانية، غطَّى بأحكامه وتعاليمه تلك المساحة التي يحتاجها المجتمع من أجل أن يسود فيه الاطمئنان، على مختلف الأصعدة:

### 1. على صعيد الخلق والتكوين

سَخَّرَ اللهُ الكونَ لخدمة الإنسان، ووَفَّرَ له كلَّ أسباب الراحة والأمن ووسائل الدفاع والحماية فيه، وترك للإنسان أن يُعْمَلَ إِرَادَتَهُ وفكره في اكتشاف القوانين والوسائل التي تحميه، وتوظيفها في صالحه. قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>2</sup>.

### 2. على الصعيد النفسي

وَجَّهَ الإسلامُ الناسَ لنبذ التعلُّق بالأمور الدنيويَّة الفانية المحدودة، والتي هي مصدر القلق والاضطراب، وعَصَمَهُم عن ذلك بالتعلُّق بالخالق المطلق اللامتناهي، وبِعَالَمِ المعنويَّات السامية التي تحرِّر الإنسان من أسر المادَّة، فلا يأسف على ما فاتته، ولا يفرح بما آتاه، كما تقرَّر الآية الكريمة: ﴿لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>3</sup>، حيث عبَّر الإمام

<sup>1</sup> الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص148.

<sup>2</sup> سورة الجاثية، الآية 13.

<sup>3</sup> سورة الحديد، الآية 23.

السَّجَّاد (عليه السلام) أَنَّ الزَّهْدَ كُلَّهُ مَخْتَصَرٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ<sup>1</sup>. وكشف الإسلام عن سرِّ اطمئنان القلب، وهو في قوله - تعالى -: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>2</sup>، ولفت إلى أهميّة المؤسسة الأسريّة في خلق السكينة والاطمئنان لدى الزوجين، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>3</sup>.

ونعى الإسلام عن كلّ ما من شأنه أن يُسبِّه في توتير النفس الإنسانيّة وتأجيج نيران الاضطراب فيها كالشرك، والغضب، والحسد، والغيبة، والرياء، والكبر، وغيرها من المفسد الأخلاقيّة والنفسيّة، التي تنشأ غالباً من الشرك الخفيّ. من هنا، نلاحظ ما ورد على لسان النبي إبراهيم (عليه السلام) في نقاشه مع المشركين: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>4</sup>. فالشرك، الجليّ منه والخفيّ، هو منشأ الاضطرابات والتوترات النفسيّة، التي تؤدّي إلى اضطرابات اجتماعيّة.

### 3. على الصعيد المعيشيّ

ويتمثّل في جملةٍ من أحكام الإسلام، مثل: الخمس والزكاة والصدقات والأوقاف... إلى غيرها من الأحكام التي تنظّم الشؤون الماليّة والاقتصاديّة للمسلمين، وفق مبدأ التكافل الاجتماعيّ، الذي أسّس له رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مقولته المعروفة: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ

<sup>1</sup> راجع: الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص128.

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية 28.

<sup>3</sup> سورة الروم، الآية 21.

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآيتان 81 - 82.

وَتَرَاحُمُهُمْ وَتَعَاطُفُهُمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»<sup>1</sup>.

عن الإمام الصادق (عليه السلام): «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْمُؤْمِنِ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»<sup>2</sup>.

#### 4. على الصعيد الأممي بالمعنى الخاص (الحماية)

من المعروف أنَّ أحكام الإسلام رُوعي فيه الاحتياط والتشدد في موضوعات الدماء والأموال والأعراض، ولم تُشَنِّع النصوص الواردة في المصادر الإسلامية على شيء، كما شَنَّعت على مَنْ يهتك إحدى هذه الدوائر الأمنية التي تتعلق بالمسلمين، وأخذ الإسلام منتَهَكها بأشدَّ العقوبات والحدود، كحدِّ السرقة والزنا والحاربة... بل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ نَظَرَ إِلَى مُؤْمِنٍ نَظْرَةً لِيُخِيفَهُ بِهَا، أَخَافَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>3</sup>.

#### 5. على الصعيد السياسي الاجتماعي

يؤكد الإسلام، في جميع تعاليمه وتوجيهاته، على ضرورة فعل كلِّ ما من شأنه أن يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية؛ لأنَّ المجتمع الذي يفقد العدالة الاجتماعية، يفقد أفراده تدريجياً شعورهم بالانتماء له والافتخار والاعتزاز به؛ لأنَّه في نظرهم ظالمٌ ومُعتَدٍ عليهم، ولا يوفّر لهم سبل العيش الكريم، ولا يكفل لهم مبدأ تكافؤ الفرص. وإذا ما افتقد أفراد المجتمع شعورهم بالانتماء له، فإنَّهم لن يتوانوا عن خيانتته وتدميره في يوم من الأيام؛ لأنَّه لا يعني لهم شيئاً. ولذلك، يطرح الإسلام مبدأً مختلفاً للتفاضل، لا يختصّ بالعرق، ولا بالطائفة، ولا بالمذهب،

<sup>1</sup> مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج8، ص20.

<sup>2</sup> الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص200.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج2، ص368.

ولا بالجنسية، ولا بالمال... فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة الوداع: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ. أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>1</sup>». <sup>2</sup> والتقوى هي استشعار رقابة الله والخوف منه. فإذا التزم المجتمع بالتقوى، فإنه لن يقع في دائرة الظلم. بل جُعِلَ القسطُ والعدلُ غايةً لإرسال الأنبياء وإنزال الشرائع السماوية، فقال -تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>2</sup> الشيخ محمد الريشهري، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، لا.م. لا.ت، ط1، ج4، ص3629.

<sup>3</sup> سورة الحديد، الآية 25.